

صاحب الجلالة يفتتح الدورة البرلمانية الجديدة

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه :

حضرات النواب المنتخبين

في السنة الماضية، كنا بنينا خطابنا إليكم على آية من كتاب الله العزيز، وفي هذه السنة رأينا أن نركز خطابنا هذا على حديث من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله :

« المومن القوي خير وأحب إلى الله من المومن الضعيف ».

أجل، المغرب القوي خير وأحب إلى الله من المغرب الضعيف، وأريد أن أطبق هذا الحديث على بلدنا المؤمن المسلم، حتى نرى فيه من معاني القوة ما هو سياسي وما هو تربوي وما هو اجتماعي وما هو عسكري ومادي.

المغرب القوي، كيف نرى مغربنا القوي في هذه العشرين سنة التي بيننا وبين القرن المقبل ؟ كيف نرى مجتمعه ؟ كيف نرى بيئته ؟ كيف نرى تصرفه في خيراته وطاقاته وإمكاناته ؟ كيف نرى المغرب يخطط لبنيه ولحفدته ؟ كل هذا سنحاول أن نلم به بكيفية موجزة، تاركين لكم أن تضعوا طيلة السنة اللبنةَ بعد الأخرى، حتى تحللوا وحتى تخططوا وحتى تتمكنوا من أن تضعوا دون غلط أو زلل الحجرة الأولى لمغرب القرن الواحد والعشرين.

أولا : نريد مغرباً قوياً بمجتمعه، لا نريد مجتمعاً أشل، ولا مجتمعاً فيه القوي والضعيف، أو الجبار والمستضعف، نريد مجتمعاً يعطي له ولجميع أفراده حظوظاً متماثلة يمكن لأفراده أن يخوضوا، جميعاً غمار الحياة الجماعية بنفس الحظوظ ونفس الامكانات ونفس الأسلحة، نريد مغربنا في أخلاقه وفي تصرفاته جسداً واحداً موحداً تجمعه اللغة والدين ووحدة المذهب، فديننا الاسلام، ولغتنا لغة القرآن، ومذهبنا مذهب الامام مالك، ولم يُقدم أجدادنا رحمة الله عليهم على التثبت بمذهب واحد عبثاً أو رغبة في انتحال المذهب المالكي، بل اعتبروا أن وحدة المذهب كذلك من مكونات وحدة الأسرة.

نريد مغربا موحدا في صفوفه السياسية والنقابية مثلما هو اليوم، حتى يتمكن ذلك المغرب من ان يقف سوراً واحداً وحصناً منيعاً أمام كل مطمع من الأطماع، وأمام كل من سولت له نفسه أنه سيمكنه بجرة قلم، أو طلقة مدفع، أن يمحو من سطح الأرض ما خططناه منذ قرون.

نريد للمغرب أن يكون عزيزاً على الله وحبيبا لله قويا في تخطيطه التربوي وفي تخطيطه الاسروي، إن آباءنا لم يتغلبوا على متاعب الدهر والتاريخ عبثا، آباؤنا وأجدادنا وجدوا أنفسهم منذ الرضاعة مسلحين في بيئتهم وبيوتهم بالأسلحة الآتية :

أولا : كانوا يفتحون أعينهم ويرون أسرتهم كلها تصلي وتصوم، وحينما يبلغون سن الخامسة أو السادسة كانوا يذهبون إلى الكتاتيب القرآنية ليتعلموا احترام الكبير، والأخذ بيد الضعيف، وليتعلموا ولو لم يفهموا القرآن، أن الله جبار، أن الله قوي، أن الله رحيم، أن الله مع من ينصره.

إن أجدادنا وآباءنا لم ينموا كذلك في مجتمع كان فيه القوي والمستضعف، بل كان في بعض الأحيان وفي أكثرها المستخدم هو رب الدار بالنسبة لصاحبها.

إذن المغرب كوّن قوته أولا بمعتقداته، وثانياً بيئته وتربيته، وثالثاً بثقافته، ثقافتُه لم تكن تلك الثقافة المبنية على خذ من هنا وهنا، وقل هذا كتابنا، والثقافة المغربية، تلك التي أوصلناها إلى المغرب، تلك التي طبعناها بطابعنا، تلك التي حولناها إلى ثقافة مغربية تروج في الأسواق الفكرية، تلك الثقافة جاءتنا من الانفتاح على الخارج، لأن علماءنا وأساتذتنا رضي الله عنهم، كانوا في غالب الأحيان يتشوقون إلى الحج، ويذهبون إلى الشرق، فإما في الذهاب وإما في الأياب يطوفون ببيوت العلم وبالكليات وبالجامعات، بل لا يكتفون بافريقيا والجزيرة العربية، بل منهم مَن جاب آسيا وصحراءها ووصل إلى تخوم روسيا والفرس وإلى أبعد من ذلك.

فثقافة المغرب لم تكن أولا ثقافة منكمشة مغلقة، بل كانت ثقافة تأخذ وتعطي وربما تأخذ أولا وتعطي ثانياً، وكانت ثانياً ثقافة تطبع كلّ ما أوجدته من علم وعرفان وعلم حضاري معماري وثقافي وديني ورياضي، بطابع خاص.

مقومات المغرب، ذلك المغرب الذي نريده قوياً حتى يكون أحبَّ إلى الله من المغرب الضعيف، كان يعطي دائماً دروساً — وبالأسف — نرى أن الناس نسوا تلك الدروس.

فمن القدم إلى اليوم لم يتفكك الصف المغربي أمام خطر يهدده مثلما يتفكك الآن بنسيان هذا الدرس، ولكن الناس — والعياذ بالله — لم يريدوا ولا يريدون أن يستفيدوا من هذا الدرس.

فالمغرب رغم اختلاف أنواع سكانه، وهذا ما يجعلني أعتبر أن المغرب من أجمل البلاد ومن أخصبها، أن سكان الريف ليسوا سكان الشاوية، وسكان الشاوية ليسوا سكان الحوز، وسكان الحوز ليسوا سكان المغرب الشرقي، وسكان المغرب الشرقي ليسوا سكان الأطلس المتوسط، والأطلس المتوسط ليس الأطلس الكبير، والأطلس الكبير ليس هو الأطلس الصغير، وسوس ليس هو الصحراء، فكل له طابعه الخاص، وكل له عبقريته الخاصة، وكل له مواهبه، وكل له مشاربه، وكل له مذاهبه، ولكن حينما يوضع على بساط المناقشة أو المذاكرة أو حتى التخيل المس بالاسلام أو بالسنة كان المغاربة يحاربون من أجل دينهم وضد الشعوذة، وحينما تكون المسألة تمس بكيانهم وحدودهم وكرامتهم يقومون كرجل واحد، وحينما كانوا يسمعون الاستغاثة : وامغرباه، كانوا يطيرون، أو أقول يسبحون ليصبحوا بجانب من استغاث بهم حتى يجعلوا كلمة الله هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى.

المغرب القوي الأحب إلى الله أكثر من المغرب الضعيف هو الذي ستصنعونه بأيديكم، حضرات السادة، ستصنعونه، لأن القوانين تنقسم إلى قسمين : منها ما يعطي أكله في الحين، ومنها ما يعطي أكله على عشرات السنين، فسواء كانت نتيجة تدبيركم وتفكيركم ومداولاتكم آجلة أو عاجلة فستكون تبعاتُها عليكم وعلي وعلى مغرب الغد، ذلك المغرب الذي نريده قوياً ليكون حبيباً إلى الله.

فستعرض عليكم في هذه الدورة عدة مشاريع، منها ثلاثة مشاريع تقدم إليكم من طرف الحكومة، تتعلق بكيفية قريبة جداً بالموضوع الذي طرقناه في السنة الماضية.

— أولا : مشروع يخص تعديل النظام الجبائي، ذلك النظام الذي سيجعلنا أمة وسطاً، ذلك الذي سيحاول — أقول سيحاول — لأن عمل الانسان لا يمكن أن يكتسي تماماً بالسلامة من الأغلاط والأخطاء — ان يجعل

من ذلك الفرق الطبقي كالهلال عند ولادته، لا كالقمر المقمر.

ــ ثانيا : مشروع القانون الثاني يتضمن كذلك ــ وأقول هنا وأنا أعلم ما أقول ــ النظر في إعطاء المنح لكل واحد من الطلبة والتلاميذ المغاربة، وهذا كذلك من القضاء على الفوارق الطبقية.

ــ ثالثا : مشروع قانون سيطالب المثرين المغاربة جميعاً ان يؤدوا ــ زيادة على الضرائب ــ الزكاة، تلك الزكاة التي سيذهب ربعها لا في الموظفين ولا في البذخ ولا في الرخاء، بل ستوزع سنوياً على الجهات أو الأقاليم لتنهض بمشاريعها الاجتماعية والاقتصادية.

ومشاريع القوانين هذه ركزت عليها هنا دون الأخرى، لأذكركم بأنني لم أنس خطابي في السنة الماضية وان توجيهاتي كانت دائماً للحكومة حتى تهيء مشاريع قوانين ترمي إلى أن تجعل منا تلك الأمة الوسط لا افراط ولا تفريط.

حضرات السادة :

المغرب القوي الحبيب إلى الله، هو المغرب الذي سيمكن نفسه من حمل كتاب الله ورسالته وأخلاق نبيه إلى غيره، ولن نحملها إلا بالعقل والتعقل، والعلم والمعرفة، والاشعاع الروحي والبشري والتسامح والتساكن.

فنشر كلمة الله بالقوة وبالسيف فات عليها الأوان.

أولا : لأن ديننا لا يحتاج إلى إكراه، لأنه محبب إلى كل ذي عقل وكل ذي تمييز.

ثانيا : لأن الاسلام هو دين أخلاق قبل أن يكون دين عبادة، وإذا كانت هناك ديانة تدين بالتسامح فهي الاسلام، فالاسلام لم يجبرْ قط نصرانياً أو يهودياً على اعتناقه، بل كان يكتفي منه ببعض المكافآت أو الجزية، لماذا ؟ لأن عندي ــ شخصيا ــ ان مقياس الحضارة هو التسامح، إذا تمكنت من أن تعيش أخاً لأخ مع جارك وأنت على غير ديانته وتمكنتما جميعاً من أن تتعايشا ومن أن تخلقا مشاريع لحكومتكما، فأنتما إذن المتسامحان المستكملان لعنصريْ الحضارة وعنصر العلو الفكري.

فالتسامح عندي هو الحضارة والتسامح هو فلسفة الاسلام.

المغرب القوي أريد أن يكون حبيباً إلى الله بإعطاء شهدائه ودمه في سبيل حريته وكرامته دون حصر ودون بخل، بلدنا بلد معطاء، يعطي الأكل والدواء والسكن والتعليم، ويعطي الدم والشهداء، من الجولان إلى سيناء إلى صحرائنا، هذا نوع من القوة، أن يجد المغربي في نفسه الطمأنينة، وان يجد في نفسه الرغبة في الاستشهاد ولو على بقاع غير بقاعه، هذا يدل على أن قوة إيمانه تجعل منه ذلك البلد المعطاء الكريم بروحه ودمه، ذلك المؤمن القوي بروحه، وبإيمان أبنائه بأن بعد حياته شيئاً آخر أكبر وأعمق وأعظم وأوسع من حياتنا كلها، الا وهو الخلود، وإذا كان الخلود لله، وإذا أعطينا نحن دماءنا وأرواحنا للخلود فنحن أعطيناها لله، فمن أعطى شيئاً للصفة أعطاها للمتصف بها، بما أن الدائم هو الله وكل من أعطى روحه للدوام أعطاها لله، وكل من أعطى تفكيره للدوام أعطاه لله، وكل من خطط للدوام، خطط لله، وكل من شرع للدوام شرع لله.

عليكم أن تعلموا أن المعركة في القرن المقبل سوف تكون معركة قاسية جدا، ليست هي المعركة التي تخوضها الدول المتخلفة ضد الدول التي بلغت شأواً كبيراً من الحضارة، لا، ستصبح حرباً بين الدول المتخلفة

بعضها مع بعض، من سيكون المخاطب لتلك الدول المتقدمة ؟ لان عدد الدول المتقدمة سيتقلص، الازمة الاقتصادية التي نعانيها وسنعانيها ستضعف عدد الأقوياء، وستكثر من باب التبعية عدد الضعفاء، واولئك الأقوياء سيختارون المخاطبين من الضعفاء، ولن يختاروا أي ضعيف كان، بل سيختارون الضعيف الذي له مؤهلات لأن يكون من النادي أو لان يلعب بنفس فريقهم دون ان يغلب.

فاذن معركتنا ضد الجهل والتخلف وقلة الانتاج داخل بلدنا أو جهتنا ستصبح معركة ضد كسلنا أولا وضد المجموعة العالمية المتخلفة.

لهذا علينا أن نجعل من مغربنا مغربا حبيبا إلى الله، مغربا قويا، لا مغربا ضعيفا.

قوتنا في تاريخنا، قوتنا في بيئتنا وفي أسرتنا، قوتنا في تربيتنا، قوتنا في القضاء أكثر ما يمكن على الميز الطبقي، قوتنا في وحدتنا للدفاع عن ديننا ومقوماتنا وبلدنا وسيادتنا، قوتنا في حسن التخطيط والتدبير، قوتنا في تواضعنا، على كل واحد منا أن يعتقد انه لم يولد عالما ولن يموت عالما، لأن العلم لله، على كل واحد منا هنا أن يعلم انه اذا كان له ما يعطي فان ما سيأخذ أكثر بكثير مما يعطي.

واعلموا جميعا وفقكم الله ان ابناءكم سيرثون اسمكم ولكن ليسوا ملزمين بأن يرثوا انتماءكم السياسي أو النقابي، سيرثون جنسيتهم المغربية وسيرون ما ستخلفونه لهم من معدات فكرية وروحية ومادية.

حضرات السادة :

اعتقد شخصيا ان السنة المقبلة ستكون سنة حاسمة بالنسبة للسياسة العالمية، وبالأخص ستكون حاسمة بالنسبة لبعض الدول التي ارادت ان تبقى على طابعها الأصيل، والتي قررت أن لا يلحقها المسخ والتي قررت أن تشق طريقها ضد كل من يعارضها، والمغرب من جملة هذه الدول، فنحن نعرف مطامحنا ونحاول أن نتصور بدقة أكثر ما يمكن من اهدافنا، لأن المطامح شيء والهدف شيء، المطمح هو فلسفي روحي خلقي، والهدف هو علمي هو رياضي، الهدف هو بمثابة نقطة، المطمح هو بمثابة أفق، فاذا نحن حصرنا مطامحنا ونقطنا تمكنا اذ ذاك من ان نسكت ما يفرق بين هذا الفريق وذاك، وبين هذا التيار الفكري وذاك، المهم أن نتفق على حد ادنى عام للجميع، واذا نحن اتفقنا إنطبق علينا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعت أمتي على ضلالة »، والأمة هنا مجتمعة ومتكتلة.

هذه حضرات السادة كلمتي إليكم، وتوجيهاتي للسنة المقبلة، في امكاني نظرا لما أجد من حب عميق ووطنية دائمة مستمرة لبلدي أن ابقى امامكم الساعات والساعات، ولكن خير الكلام ما قل ودل، واظن انني وصلت إلى اعماق افئدتكم، واخترقت الحواجز فيما اذا كانت حواجز المنطقية أو التفكير في ادمغتكم، المهم هنا اذا كنا كلنا متفقين على ان المغرب القوي عزيز عند الله وأحب الى الله من المغرب الضعيف، فعلينا أن نختم كلمتنا هاته وكلنا مخلصون في دعائنا :

ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم وقولك الحق : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا ».

وفي الختام سنقف ونقرأ الفاتحة ترحما على أرواح الشهداء من قواتنا المسلحة وقواتنا المساعدة ورجال



الدرك ورجال الأمن والمدنيين الذين بذلوا واعطوا والذين اثقلوا كاهلنا، فاذا هم رصعوا جبيننا وهامتنا بالفخر والفخار فقد أثقلوا كاهلنا في وقت واحد بواجب الرعاية للأمانة والسير على المحجة.

رحمهم الله سبحانه وتعالى واسكنهم فسيح جناته.

الجمعة 20 ذي القعدة 1399 — 12 أكتوبر 1979